بسم الله الرحمن الرحيم

عيد الفطر

التوحيد والأمن

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

إن أعظم نعمة وأجلها نعمة الإسلام، رضيه الله لنا دينا، وأتم به علينا النعمة، ارتضاه دينًا محكمًا، وتشريعًا كاملاً، صالحًا لكل زمان ومكان ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ .

ولقد من الله علينا في هذه البلاد، بدعوة سلفية مستقيمة ، على منهاج النبوة، قام بها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، شيخ الإسلام الموحد ، الذي جدد دين النبي محمد . إنه في الإسلام علماً معروفا ، وبالإمامة موصوفا . دعا إلى التوحيد ، فذكّر الخلف ، عقيدة السلف ، تدرع بالعلم في فترة ركنت العقول إلى الجهل ، وتسلح بالصبر في زمن قل الناصر لأهل الفضل ، فصحح للناس أصل المعتقد الحق في ربهم تبارك في علاه ، ونفض عن عقول أهل زمانه ما نال جناب التوحيد وشوّه محيّاه.

إنه الإمام الذي ما تدنس بالدنيا جلبابه ، ولا اتسخت بالبدعة ثيابه ، وقد عقد العزم ، واتصف بالحزم ، تحدوه همة عارمة ، وعزيمة صارمة ، فدعا إلى تجديد ما اندرس من الدين ، وإظهار ما خفي من دعوة سيد المرسلين .

إمام لم يكن مطلبه السلطان ، وجمع الجنود والأعوان ، والاستيلاء على البلدان . بل كان قصده تصحيح معتقد الناس ، وتصفية التوحيد مما أصابه من الأدران والأدناس ، وإزالة الخطأ والالتباس ، فأصاب عين الحقيقة ، ولزم أحسن طريقة ، حتى شرّقت بالخير ركائبه ، وغرّبت بالفضل نجائبه ،

فتقبلها عباد الله بقبول حسن ، وعدوها عليهم من أعظم المنن ، وشرق بها من ضل رشده ، وخاب جهده ، فما ضر إلا نفسه.

عباد الله: التوحيد هو حق الله على العبيد ، وهو أول ما دعا إليه الرسل ، وبه كل كتاب نزل ، وهو أصل الأصول ، والطريق للوصول ، وبه عرف المعبود ، وعمر الوجود ، ولأجله أعدت الجنة والنار ، وسل السيف البتار ، وقوتل الكفار ، ولإقامته في الأرض دعت الأنبياء ، وقتل الشهداء ، وهو أول مطلوب ، وأعظم محبوب ، وهو أشرف المقاصد ، وأعذب الموارد ، وأجل الأعمال ، وأحسن الأقوال ، وهو أول الأبواب ، وبداية الكتاب ، وأعظم القضايا ، وأهم الوصايا ، وخير زاد ، يحمله العباد ، ليوم التناد ، وهو قرة عيون الموحدين ، وبهجة صدور العابدين ، وهو غاية الآمال ، وأنبل الخصال ، بل هو أعظم الكفارات ، وأرفع الدرجات ، وأكبر الحسنات «يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم جئتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» .

وقيض الله عز وجل له حينئذ الإمام محمد بن سعود رحمه الله فقبل دعوة الشيخ وتبايعا على نشر هذا الدين وتناصرا على الدعوة إلى اتباع سنة سيد الأنبياء والمرسلين، فبزغت شمس الهدى والرشد، وفاح في الأرض طيب التوحيد، وعلت كلمة الإسلام الحق حتى عطرت العالم بأسره، وتأسست دولة ذكَّرت الناس بعهد الراشدين.

ثم سار على نهجها ولاة هذه البلاد ، رفع الولاة شأن العلماء، وعلم العلماء الناس مكانة الولاة، حتى صارت بلادنا ولله الحمد والمنة مضرب المثل في اتباع السنة والهدى، والابتعاد عن البدع والأهواء، فعم أمنها، واستقر أمرها، ورغد عيشها، جنينا ثمرة ذلك، أمنا في الأوطان، وسلامة في الأبدان، ورغدا في العيش، تفجرت علينا الأرض بخيراتها، ووسع الله على الناس في الأرزاق.

أيها المسلمون: إنَّ تحقيقَ التوحيد وقصد الله جلّ وعلا بالعبادة والالتجاء إليه وحدَه وتعلّق القلوب به وحدَه وكمال التوكّل عليه وعدم الالتفات إلى غيره واليأس من جميع المخلوقين وقَطع الطّمع في حصول النفع أو دفع الضرّ منهم يتحقَّق به حفظُ الله للعبد في دينه و دنياه

ومن ثمرات التوحيد الأمْن في الأوطان ، قال جلّ وعلا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ فهو مَطْلَبٌ أكيدٌ لا تستَقيمُ الحَيَاةُ بِدُونِهِ، يَقُولُ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم : «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعافى فِي بَدَنِهِ عِندَهُ قُوتُ يَومِهِ فكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا» رواهُ التِّرمذيُّ.

عباد الله: والعلماءُ الربانيّون هم ورثةُ الأنبياء، في ملازمتِهم وإنزالهم المكانة الرفيعة، وإعطاءهم حقهم من التوقير، والذب عن أعراضهم، سدادٌ في الرأي، وتوفيقٌ للصواب، ودرءٌ للمفاسد. وببركةِ الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر تُمنَع الشرور والآفات عن المجتمعات.

الخطبة الثانية :

أيّها المسلمون: لقد جمعت شريعةُ الإسلام المحاسنَ كلّها، فصانت الدينَ، وحفِظت العقول، وطهَّرتِ الأموال، وصانت الأعراض، وأمَّنت النفوس، وما شُرعت الحدود العادِلة الحازمة، الا لتحقيقِ الأمن في المجتمعات.

أيها المسلمون: بالأمن والإيمان تتوحَّد النفوسُ، وتزدهِر الحياة، وتغدَق الأرزاق، ويتعارف الناس، وتُتَلقَّى العلومُ من منابعها الصافية، ويزدادُ الحبلُ الوثيق بين الأمة وعلمائها، وتتوثَّق الروابطُ بين أفراد المجتمع، وتتوحَّد الكلمةُ، ويأنس الجميعُ، ويتبادل الناسُ المنافع، وتُقام الشعائر بطمأنينة، وتقُام حدود الله في أرض الله على عباد الله.

وإذا اختلَّ الأمنُ تبدَّل الحالُ، ولم يهنأ أحدٌ براحةِ بال، فيلحقُ الناسَ الفزعُ في عبادتهم، فتُهجَر المساجد ويمنَع المسلم من إظهارِ شعائر دينه، وتُعاق سُبُلُ الدعوة، وينضَب وُصول الخير إلى الآخرين، وينقطع تحصيلُ العلم ، ولا توصَل الأرحام، ويئنُّ المريض فلا دواءَ ولا طبيب، وتختلُّ المعايش، وتهجَر الديار، وتفارَق الأوطان، وتتفرَّق الأسَر، وتنقَضُ عهودٌ ومواثيق، وتبور التجارة، ويتعسَّر طلبُ الرزق، وتتبدَّل طباعُ الخَلق.

باختلال الأمن تُقتَل نفوسٌ بريئة، وترمَّل نساء، ويُيتَّم أطفال. إذا سُلِبت نعمةُ الأمن فشا الجهلُ وشاع الظلم وسلبتِ الممتلكات، وإذا حلَّ الخوفُ أُذيق المجتمعُ لباسَ الفقر والجوع،

عباد الله: المعاصي والأمنُ لا يجتمِعان، فالذنوب مُزيلةٌ للنِّعم، وبها تحُلّ النقم، قال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ وبالخوف من الله ومراقبته يتحقّق الأمن والأمان، والعنايةُ بالعلم والتمسُّك بالكتابِ والسنة عصمةٌ من الفتن.

أيتها المسلمات: لتكن حياتكن في الإسلام أدبًا وحشمة، وسترًا ووقارًا، رفضًا للسيرة المتهتكة، والعبث الماجن، تجنبًا من الخضوع بالقول، والتبرج الجاهلي ومغادرة القرار ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾ ولا تكن من اللاتي في سيرتهن من الشاردات، الكاسيات العاريات، المائلات المميلات، اللاتي لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها.

يا من ترجو النجاةَ، احذر المسالكَ النادَّةَ، والآراء الشّاذَّة، والأغالِيط المدمِّرَة، والحجَجَ الواهية، والفتاوى المجهولة، والعواطِفَ العاصِفة، والقنواتِ والمواقعَ المغرِضة، والزَم غرزَ العلماءِ في هذه البلاد، ولا تكن ممن أُرشِد فالتَوى، ودُلَّ فتولَّى، وبُصِّر فاستحبَّ العمى على الهدى، ونُهِي فما انتَهَى.